



إن العالم الإسلامي يتعرض لهيمنة الأقوياء واستحواذهم في غالب مواقعه، وعزّة المسلم وأنفته لا تسمح له بأن يغضي على القذى، وفي الوقت ذاته فإمكانيات شاب عادٍ وقدراته الذهنية والعقلية والتربوية والمعلوماتية لا تمكّنه من مضارعة هؤلاء ومنافستهم في شؤون الحياة ومنافستهم، ولا يجد البيئة الحاضنة التي تمنحه الفرص المتنوعة، فيتجه إلى خيار واحد، حيث يجد القوة والاستعداد في المقاومة.

ومع أننا لسنا في مقام منافسة ولا مقاربة مع كثير من شعوب العالم، إلا أننا في مقام التضحيه نُبُرُّ هؤلاء جميعاً، وهذا جانب من جواب القوة والعظمة في الأمة، لكن ينبغي أن نضبط هذا الجانب بحيث لا يتحول إلى مسلك من العدمية، والبحث عن الموت بذاته، وأن ندرك أن التضحيه وحدها لا تصنع مشروعًا، ولا تُقيم بناءً، ولا تبني حضارةً.

- مؤلم أن عطاء المسلم في مجال بناء المجتمع أو التصنيع والتكنولوجيا أو الاقتصاد أو الإعلام أو السياسة أو الأسرة أصبح ضعيفاً، وبالتالي يجد نفسه في جانب التضحيه والموت أكثر مما يجدها في جانب الحياة..

إن التضحيه إنما هي من أجل البناء، فإذا غلب جانب التضحيه على جانب البناء، فقد تفوق الفرع على الأصل، والسبب على النتيجة!

- التفكير العسكري يسيطر حتى حينما نتحدث عن الصناعة والإعداد، فلا يذهب الذهن إلا إلى القوة العسكرية فحسب، وكان الحياة كلها معركة، لا يهدأ أوارها!

وننسى قوة المعرفة التي هي أساس التفوق، وقوة الاقتصاد، وقوة الإعلام المؤثر في عقول الأجيال، وقوة التربية والتعليم، وقوة الوحدة والتنسيق بين المكونات المختلفة!

- لدينا مشاريع فدائمة عديدة، لكن كم لدينا من مشروع اقتصادي، أو تقني، أو إعلامي، أو دعوي، أو اجتماعي؟
وفي كل نموذج من هذه الأمثلة نجد عشرات القصص للأنبياء والصحابة والأئمة عبر التاريخ مما تزدحم به كتب السير..
- الموت حافز للفعل والمبادرة وملء الحياة بالعمل والإنجاز والبصمة المؤثرة، وكما قيل:

وكن رجالاً إن أتوا بعده *** يقولون: مرّ وهذا الأثر!

أما الحديث عن الموت، كما يفعل بعض الوعاظ الذين يطيلون في وصف الفناء، وماذا يفعل الدود في الجسد، وكيف تبلى الرّجم، فهو مما يصنع الكآبة، ولا يساعد على طاعة، ولا عبادة، ولا عمل، وليس هو من هدي الأنبياء، ولا من عمل الصالحين، ولا طريقة السلف الأولين.

إِنَّ الْحَيَاةَ تَكْلِيفٌ وَتَشْرِيفٌ وَتَكْرِيمٌ لَأَدْمَ، وَلَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْذُرِّيَّةِ.

- وإذا كان الجهاد أحد شرائع الإسلام العظيمة، فهو معنى واسع، وليس بآياً واحداً.

والمجاهد المقاتل قد يرجع بالأجر والمغنم..

وقد رأى الصحابة -رضي الله عنهم- رجلاً شديداً يمشي، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن كان خرج يَسْعَى على ولدِ صِغَارًا، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يَسْعَى على أبوين شيخين كبارِين، فهو في سبيل الله، وإن كان يَسْعَى على نفسه يُعْفَهَا، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رِياءً وَمُفَاخِرَةً، فهو في سبيل الشيطان». (أخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي، وفي «شعب الإيمان» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما).

وسائله رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أئِ النَّاسُ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «مَنْ طَالَ عَمْرَهُ، وَحَسُنَ عَمْلُهُ».

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَزِدُهُ طُولُ الْعُمَرِ إِلَّا خَيْرًا» (أخرجها أحمد، وهو حديث حسن).

وعن طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه، أن رجلين قدما على رسول الله، فأسلموا معًا، وكان أحدهما أشد اجتهاداً، فغزا فاستشهد، ثم توفي الآخر بعده بسنة، قال طلحة: فرأيتُ في المنام بينما أنا عند باب الجنة، فخرج خارج فإذا ذاك للآخر، ثم خرج فإذا ذاك للشهيد، ثم قال لي: ارجع، فإنه لم يأن لك. فتجلبنا وسألنا رسول الله، فقال: «من أى ذلك تعجبون؟ أليس مكث بعده سنة؟ وأدرك رمضان، وصلَّى كذا؟ فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض» (أخرجه أحمد، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، والضياء، وهو حديث صحيح).

فما بالك لو عاشر بعده عشر سنين، أو عشرين سنة؟

في الجانب التعبدى المحسن جانب القرب، التي هي علاقة العبد بربه من المحافظة على الصلوات والأذكار والسجود، يقول النبي -صلى عليه وسلم-: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ، فسجدَ، اعترَّ الشيطانُ يبكي، يقولُ: يا ويلهـ -وفي رواية: يا ويلـيـ - أمرَ ابنَ آدمَ بالسجود فسجدَ، فلهُ الجنةُ، وأمرَتُ بالسجود فأبكيتُ، فلي النارُ» (أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

احسب كم سجد أخوه المتأخر في اليوم من مرة؟

كم سجد في الأسبوع؟

فِي الشَّهْرِ؟

فِي السَّنَةِ؟

فی عشر سنوات؟

هذا كله فات على الذي رحل عن الحياة.

الكلمة التي لو وُضعت في كِفَة، والسماءات والأرض في كِفَة، لرجحت بهن: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كم يستطيع الإنسان أن يقولها في اللحظة الواحدة والحقيقة الواحدة؟ فضلاً عن اليوم؛ وهو مضطرب أن يقولها في الصلاة، وفي مناسبات كثيرة.

الصلاحة على النبي - صلى الله عليه وسلم -، التسبيح، التحميد، الاستغفار، التهليل، الشكر، حتى الكلمات التي يقولها الإنسان بعفوية، أن يقابل أخاه ويسلام عليه، فهذا فيه ثلاثون حسنة، و«السلام أسمٌ من أسماء الله تعالى»، ودعاء لأخيك المسلم، فإذا قال: ورحمة الله وبركاته، يكون ذكر الله ست مرات بهذا الكلام العفوبي.

- الذي يحدث في حياتنا وسلوكنا من الخطأ والتصحيح والذنب والتوبة جزء من الحكمه والرحمة، والله قد يخليل بينك وبين الذنب لحكمة..

والموت انقطاع: «فإذا مات ابن آدم انقطع عمله»، وفات عليه أوان التوبة، فالله يقبل توبه العبد ما لم يغرغر.

الإسلام اليوم

المصادر: